وقد عبر الفنان ميكل أنجلو عن العصر الجديد الذي تسوده الحرية والقوة والصدق ومن أشهر أعماله تمثال باخوس Bachus وداود David وموسى Moses والعذراء بروج The Virgin of Bruges والأسيران المقيدان Bound Gaptives والعذراء والطفل Madonna and the Child. وتمثالان للوداع Pieta والليل Night والنهار Day على قبر جوليانو دي مديتشي ، والفجر Dawing والمساء Twilight على قبر لورنتزو دي مديتشي في فلورنسة . ومن مشاهير فناني عصر النهضة بنفوتو تشللين Benvenuto Cellini ١٥٠٠ - ١٥٧٢ م ، حيث كان نحاتاً مبدعاً ولكن لم يبق من تحفه إلا القليل كتمثال برسيوس[٥٢] Perseus البرونزي .

٣ - العمارة :

ظل فن العمارة مزدهراً في العصور الوسطى ، فقد ظهر في شمال أوربة طراز جديد من العمارة هو الطراز القوطي ، الذي تميز بكثرة الأقبية العالية والدعائم المعلقة وانتقل هذا الطراز إلى إيطالية وتمثل في بناء الكنائس والكاتدرائيات . وقد ثار الفلورنسيون منذ النصف الأول من القرن الخامس عشر على تقاليد العصور الوسطى في العمارة ، وبدؤوا بتقليد البنى الفنية السائدة في العصور القديمة . ولكن الفن الجديد لم يقتصر مباشرة إذ أننا نجد كنائس مبنية على نمط الطراز القوطي[٥٣] في أنحاء عديدة من أوربة كفرنسة وإسبانية وإيطالية تعود للقرن السادس عشر . وقد أقام المهندسون المعماريون القصور الشاهقة للملوك والأمراء وللبرجوازيين وبنوا الكنائس الرائعة التي طبقوا فيها أصول العمارة الرومانية واليونانية وزينوا هذه الكنائس بأجمل الفريسكات[٥٤] . وقد دفعت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في شبه الجزيرة الإيطالية فن العمارة لأن كل مدينة رغبت في التألق أكثر من جارتها الأخريات، ولأن كل أسرة حاكمة تحاول أن تبرز بشكل أكبر من الأخريات . وقد نافست فلورنسة كلاً من البندقية وروما في مضمار العمارة . ويعتبر كل من برونلسكي Brunelleschi ومتشلوتزو Michelozzo من أشهر المنوابع في فن العمارة في عصر النهضة . وقد انتقل فن العمارة إلى خارج إيطالية فامتلأت أوربة بقصور وميادين رحبة ، وحل المنزل الريفي محل القلعة الحصينة وبدأت مباني المدينة بالزحف

خارج الأسوار بعد تراجع فن العمارة القائم على الخوف من غزوات الخرمان المتبربرين[٥٥] أمام الروح الجديدة التي تميزت بها الحياة الاجتماعية الجديدة[٥٦] .

الاتجاهات الإصلاحية والفكر السياسي في إيطالية :

دخلت تغيرات عميقة إلى المجتمع الأوربي وخاصة إيطالية تتيحة للنهضة فقد طغت سمة تقديس الجمال والتمتع بملذات الحياة الدنيوية في المجتمع الإيطالي . وسما مركز المرأة وتعددت نشاطاتها فعملت على دراسة الفلسفة والموسيقى والغناء والرقص والدراسات القديمة . وقد شهد المجتمع استهانة بالآداب العامة ، وخروج عن العادات والتقاليد ، وانتشر الفساد والإجرام ، وتمثل الانهيار الخلقي بصورة واضحة في حياة البابوات منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر حيث انصرفوا عن الأمور الدينية إلى الأمور الدنيوية واهتموا بالشؤون السياسية والحكم . وقد امتلأ المجتمع الإيطالي بالمتناقضات فقد وجد العلماء والأساتذة والفنانون في الوقت الذي كان المجتمع فريسة للفساد السياسي وللانحطاط الأخلاقي . وكان هذا التراجع الخلقي رد فعل ضد النهضة مثله عدد قليل ممن تمسكوا بالفضيلة . فظهر عدد من المصلحين يمكن تقسيمهم إلى اتجاهين إصلاحيين رئيسيين هما : يرمي الاتجاه الأول منهما إلى إصلاح المجتمع على أساس التعاليم الدينية وقد مثله جيرولا سافونا رولا Girolamo Savonarola ١٤٥٢ - ١٤٩٨ م ، أما الاتجاه الثاني فقد كان يهدف إلى صلاح المجتمع دون التقيد بالأمور الدينية والأخلاقية وقد مثل هذا الاتجاه نيقولا ميكافللي Niecola Machiavelli .

أولاً - حركة سافونا رولا :

جاء سافونا رولا إلى فلورنسة من مدينة فرارا وقد أصبح فيها راهباً وثائراً في الوقت نفسه ، فقد اعتقد بأن النهضة هي من أهم عوامل الانهيار الاجتماعي والأخلاقي لذا وقف موقفاً معادياً لها[٥٧] . وانتقد أخلاق الكثير من معاصريه ، الذين انصرفوا إلى اللهو والملذات فقد وجه نقده إلى عدد من أعلام النهضة وحكام البلاد والبابوات أمثال البابا اسكندر السادس وحاكم فلورنسة أورنتزو . وقد ارتكزت دعوة سافونا رولا على الدعوة للعودة إلى التعاليم الدينية الأساسية والتشبث بالفضيلة والأخلاق الحسنة من أجل القضاء على الانحطاط الخلقي والاجتماعي . وقد بدأ هذا الراهب بالكتابة والوعظ كسبيل للوصول إلى غايته . فقد كان محدثاً وخطيباً بارعاً إلا

أنه وجد أن الطريق السلمي لم يوصله إلى غايته لذا عمد إلى طريق العنف فعمل على جمع الشباب وتدريبهم عسكرياً وبدنياً بالإضافة إلى تلقينهم العلوم التربوية والدينية ، كما شكل فرقاً عديدة من هؤلاء الشباب وكلفهم بالرقابة على الآداب العامة والقضاء على أماكن الفساد . وقد قام بإحراق الكتب التي عارض مؤلفوها أفكاره وخططه الإصلاحية . ونتيجة لحملته ضد الكنيسة وضد البابا اسكندر السادس فقد تم اتهامه بالكفر من أجل التخلص منه وصدر في أيار ١٤٩٧ م قرار الحرمان البابوي ثم تم إعدامه حرقاً في فلورنسة . ويمكن إجمال العوامل التي أدت إلى انهيار هذه الحركة الإصلاحية بأمور عديدة أهمها : موقفه المؤيد للاحتلال الفرنسي لأنه كان يعتقد بأن فرنسة ستسعى لنشر العدل والحرية في المجتمع الإيطالي بالإضافة إلى عدائه مع التجار والحكام الذي وقف في وجه مصالحهم وأطماعهم التجارية بالإضافة إلى ذلك فكون سافونا رولا من رجال الدين المخلصين فإنه لم يلجأ إلى الأساليب الملتوية في مجال السياسة بعكس أعدائه الذين عمدوا إلى الغدر والخيانة والخداع . ويمكن إضافة عامل أساسي أخير وهو أن هدف مؤيديه لم يكن الإصلاح الديني بقدر ما كان هؤلاء يحاولون الاستفادة من الإصلاح الديني من أجل رفع الظلم السياسي في فلورنسة[٥٨] .

ثانياً – مكيافللي Niccolo Machiavelli ١٤٦٩ – ١٥٢٧ م :

ولد مكيافللي في فلورنسة عام ١٤٦٩ م ، ينتمي أبوه إلى طبقة النبلاء القدماء في فلورنسة . كان محامياً متوسط الثراء ، إلا أنه لم يتلق تعليماً واسعاً . وقد تمكن مكيافللي من التوصل إلى منصب أحد كتّاب الحكومة في عام ١٤٩٦ م وقد استمر في عمله كأحد الكتّاب الرسميين للحكومة الفلورنسية حتى عام ١٥١٢ م ، حيث عادت أسرة مديتشي إلى السلطة . اطلع مكيافللي على الثقافات القديمة وألمّ بأحوال المجتمعات الأوربية . شكل كتابه (الأمير) خلاصة تجاربه السياسية ومعارفه التاريخية . فقد تألم كثيراً وهو يشهد تمزق إيطالية وانقسامها وتنافس أمرائها واعتمادها على الجند المرتزقة في حماية نفسها . سعى مكيافللي لدى الفلاسفة والمؤرخين اليونان والرومان مفتشاً عن علاج لآلام إيطالية التي لم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها وتحقيق وحدتها . فسحر من البابوية والامبراطورية . وأبدى إعجابه بالجمهورية الرومانية

وبنظامها الديمقراطي وبجيشها الوطني . وقد رأى أن خلاص إيطالية سيتحقق بوحدتها وقد دفعته واقعيته إلى الحكم بأن تحقيق جمهورية إيطالية صعب المنال بل انه مستحيل لذلك فإن إيطالية بحاجة إلى منقذ ولا ضير أن يكون أميراً يتمتع بسلطات ديكتاتورية مستخدماً ما يراه مناسباً من الوسائل أكانت أخلاقية أو منافية للأخلاق في سبيل تحقيق هذه الغاية السامية . ومن هنا جاءت المكيافللية في أصولها لتجسد مبدأ الغاية تبرر الوسيلة[٥٩] . لذا فقد أعفت المكيافللية رجال الدولة من قيود الأخلاق التي تطبق على الناس العاديين ، بل وطلبت منهم ارتكاب أعمال العنف والخداع والغش والشدة من أجل مصلحة بلادهم . ويمكن تلخيص أهم المبادئ التي تقوم عليها فلسفة مكيافللي السياسية في نقاط عديده أهمها :

١ – إن الإنسان ولد خبيثاً وأنه لا يقبل الخير إلا إذا اضطر إلى ذلك وبناء على ذلك فإنه لا يمكن الاعتماد على الطبيعة الإنسانية وحدها من أجل إصلاح نفسها لأنه لا يمكن التغلب على الشر إلا بكبحه والضغط عليه .

٢ – إن على كل حاكم يتطلع إلى السلطة المطلقة لابد من أن يرحب بالفلسفة القائلة (إن فشل الحاكم هو الجريمة التي لا تغتفر) . لذا يجب على الحاكم أن يقوم بتكييف أخلاقه بحسب الظروف وأن يتحرر من القيود الأخلاقية المقررة كذلك لأن ذلك التحرر يعتبر ضرورة يقتضيها الصالح العام .

٣ – إن القوة هي أساس نجاح الحكام ، وإن اللجوء إلى الحرب من وقت لآخر هو ضرورة من أجل المحافظة على كيان الدولة لأن السلام الدائم يؤدي إلى ضعف أبناء الدولة بينما يؤدي الخطر والخوف إلى اتحادهم وتماسكهم لذلك لابد من تأسيس جيش وطني في حكومة أمير قادر على تنظيم وقيادة جنوده ، ومن ثم استخدام هؤلاء الجنود في الدفاع عن البلاد والحفاظ على وحدتها الوطنية[٦٠] .

٤ – على الرغم من إعجاب مكيافللي بالمستبد القوي ، إلا أنه كان يعجب بالشعب الحر الذي يحكم نفسه بنفسه . وبما أنه معجب بهذين النوعين المتناقضين فقد أوصى بإقامة الحكم المستبد في حالتين الأولى في حالة إنشاء دولة لأنه بعد تأسيس الدولة لابد من أجل ضمان استمرارها من أن يسمح للناس بنصيب في الحكم ولابد

للحاكم عندئذ أن يدير شؤون الدولة وفقاً للقانون وأن يراعي حقوق رعاياه أيضاً أما الحالة الثانية التي يجب إقامة حكم استبدادي فهي إصلاح دولة فاسدة ، حيث رأى مكيافللي أن العنف السياسي هو الدواء السياسي القوي الذي لابد من استخدامه في الدولة الفاسدة . إلا أن هذا الدواء كالسم لذا يجب استخدامه بحذر شديد[٦١] .

عدّ بعض المؤرخين بأن مكيافللي عبّر عن الآراء التي كانت سائدة في عصره وشرح المسائل السياسية التي استخدمت لتنفيذ السياسات آنذاك وأنه لم يبتدع شيئاً جديداً ، كما أن كتابه الأمير ، يمثل وثيقة تاريخية تبين الأخلاق السياسية في إيطالية في أوائل القرن السادس عشر أكثر منه عملاً مثالياً شبيهاً بجمهورية أفلاطون أو يوتوبيا لتوماس مور ، إلا أن ذلك لا يلغي الأثر الذي أحدثه هذا الكتاب في تاريخ العالم وأوربة في المائتين والخمسين عاماً التي أعقبت وفاة مكيافللي كانت إما خاضعة للمكيافللية أو ثائرة عليها . وفي رأي بعض المؤرخين فإن الأثر الذي تركه كتاب مكيافللي (الأمير) يضاهي ما تركه كتاب جان جاك روسو (العقد الاجتماعي) من أثر .

وقد اتبع مبادئ مكيافللي كل من كاترين دومديتشي زوجة هنري الثاني ملك فرنسة التي وقعت في أيامها مذبحة سان بارتلمي ، حيث تم قتل عدد كبير من البروتستانت الفرنسيين . كما سار وفقاً لهذه المبادئ كل من ريشيليو ولويس الرابع عشر وهنري الثامن والملكة اليزابيت وفريدريك الأكبر ثم بسمارك مثل المكيافللية الأعلى وكذلك تمثلت هذه المبادئ بشخصية نابليون[٦٢] .

نهاية النهضة في شبه الجزيرة الإيطالية :

بدأت النهضة العظيمة التي قامت في المدن الإيطالية تخبو منذ نهاية القرن الخامس عشر ثم انطفأت تماماً في نهاية الربع الأول من القرن السادس عشر . وهناك عاملان أساسيان أديا إلى نهاية النهضة هناك هما الحروب الإيطالية أولاً وحركة الإصلاح الديني ثانياً . فقد بدأت الحروب الإيطالية في عام ١٤٩٤ م عندما غزا شارل الثامن ملك فرنسة إيطالية وكان ذلك إيذاناً ببداية الحروب الإيطالية بين الدول الأوربية الكبرى التي جرت في إيطالية واشتركت فيها الإمارات الإيطالية وكان لها تأثيرٌ فادحٌ

في النهضة هناك ، فخلال الدور الثاني من هذه الحروب ١٥١٥ - ١٥٥٩ م استولى أربعون ألف جندي من قوات الامبراطور شارل الخامس على روما في أيار ١٥٥٧ م قاموا بأعمال النهب والتخريب لمدة ثمانية أيام ثم نهب غالبية الكنائس والأديرة واغتصاب عدد كبير من الراهبات وأسرهن ، كما تحول القصر المقدس وكنيسة القديس بطرس إلى اصطبلات للخيول. فكان ذلك إيذاناً بانهيار النهضة في إيطالية .

أما العامل الثاني الذي ساعد على انهيار هذه النهضة فهو حركة الإصلاح الديني Reformation التي تزعمها مارتن لوثر Martin Luther ١٤٨٣ - ١٥٤٦ م والتي هدفت إلى التحرر من سيطرة الكنيسة الكاثوليكية في روما على أفراد العالم المسيحي والكاثوليكي . وقد عارض هذه الحركة البابوات وعدوها حركة إحياء العلوم والآداب والفنون القديمة ولذا حاربوها واستعانوا بملوك إسبانية الكاثوليك والمتعصبين للقضاء عليها[٦٣] .

إلا أن النهضة قد انتقلت وقبل انطفاء شعلتها في شبه الجزيرة الإيطالية عبر جبال الألب إلى بقية أنحاء القارة الأوربية وبخاصة غربها وشمالها على يد الطلبة الذين تلقوا علمهم في المدن الإيطالية ثم عادوا إلى بلادهم ونشروا ما حصّلوه على مواطنيهم فقامت نهضة جديدة في كل بلد واتخذت تلك النهضة خصائص وسمات معينة بحسب الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحضارية لذلك البلد .

- ديزيدريوس إيرازموس Desiderius Erasmus ١٤٦٧ - ١٥٣٦ م :

يعد إيرازموس من أكبر دعاة النهضة خارج شبه الجزيرة الإيطالية ، فهو عالم هولندي ولد في روتردام وذاعت شهرته في غالبية الدول الأوربية[٦٤] . وقد أقام في كل من فرنسة وانكلترة وألمانية وحاضر بطلاب العلم فيها باللغتين الإغريقية واللاتينية ، حيث تجمع حوله علماء تلك الدول وصفوة مثقفيها . وضع إيرازموس أساس الحركة التي سار بها المصلح الألماني مارتن لوثر . وسار في الاتجاه نفسه مع لوثر ، ولكنهما افترقا ، إذ إن الروح العنيفة المتعصبة التي سايرت حركة الإصلاح الديني لم يستسغها المزاج الإنساني المتسامح لذلك البحّاثة الهولندي ، الذي كان مؤمناً بإصلاح الكنيسة الكاثوليكية من الداخل ويرفض مهاجمة عقائد وتعاليم روما لأنها في رأيه هي العقائد